(الشيطان)

جلست حزينًا مهمومًا وسألت نفسي: وماذا بعد؟ لقد مللتُ من بني البشر، ومن كل شيء حولي أريد أن أستريح.. أن أنعم بلحظة هدوء. أن أخلو إلى نفسي وأسترجع شريط حياتي.. ولكن من يحل محلي؟ لمن أترك وظيفتي؟ هل أتركها لأحد أبنائي؟ أخاف أن يطمع فيها فأجد نفسي بلا وظيفة! الحل هو أن أختار أحدا من بني البشر! وأثناء سيري رأيت شحاذا عليه أسمالٌ باليةٌ يسأل الناس بأسلوب أقنعني أن أمد يدي في جيبي وأخرج بعض الجنيهات وأعطيها له.

دعا لي قائلا: ربنا يطول في عمرك يا بيه.

من الناحية دي اطمن.. وأكملت: أنا عايزك في شغلانة.

- تحت أمرك يا بيه أنا خدامك.
- عايزك تبقى أنا.
- العفو يا بيه، أنا شحات مسكين وأنت بيه كبير المقام.. لازم أنت بتهزر هي العين تعلى على الحاجب؟
- أنا بتكلم بجد أنا عايزك تبقى مكاني كام يوم كده.. أصل أنا عايز استريح شويه وشغلانتي بسيطة وسهلة.
- وشغلانة ايه دي؟
- الزن في الودان.
- إنت بتشتغل ايه حلاق؟
- لا أنا بشتغل شيطان.

- شيطان! أعوذ... وضعت يدي على فمه.. إنت عايزني امشي ولا ايه.. دا أنا هاغرقك فلوس.
- بس دي أول مرة أشوف حضرتك.. بس أنا كنت متخيلك بقرون وديل.
- إيه يا عم انت كده متخيل معزة مش شيطان.. بص شوف يا معلم أنا هعطيك الفلوس اللي انت عايزها وأي حاجة تتمناها.
- مفيش قول بعد قولك أنا مو افق.. بس ازاي هاشتغل و أنا ما عنديش قدرتك ولا قوتك؟
- ما تخفش أنا هدربك.
- في برج العرب ولا في الجونة؟
- أمسكت نفسي من أن أحرقه حيًّا وقلت في نفسي:
- هو حظى يوقعني في شحات من موجة كوميدي؟
- أنا هاعطيك لمسة شيطانية تخليك جن مشيطن.

الشحاذ بعدما ارتدى ثوب الأبالسة:

- إيه رأيك أنفع؟
- مش بطال بصّ بقه أنا تعبت وهسيبك دلوقتي!
- ما تشيلش هم بدون مقاطعة هتلاقي كل حاجة تمام.. هتيجي من الأجازة هتلاقي الناس مقطعة بعض والدم للركب.
- أنا عايزك تشتغل بضمير ولا تؤجل شر اليوم إلى الغد!
- إنت دلوقتي معطلني ومش عارف اشوف شغلي.
- طيب... طيب أنا ماشي.

- لا إله إلا الله.. تروح وتيجي بالسلامة.

الشيطان يصرخ:

- أنا حاسس إن نهايتي هتكون على إيديك. يختفي ويتركه وحيدا!

ثلاثة أشهر كاملة و أنا خارج نطاق الخدمة.. ولكنني أسمع عن أخبار ثورات و انقلابات ومذابح ومجاعات.. هذا الشحاذ يلعب دوره باقتدار لا بد له من مكافاة تليق بهذا العمل الظلامي!

أعود لأجده يجلس أمام شاشة تليفزيونية عملاقة، ويبكي من مشهد سينمائي قديم لفاتن حمامة ويقذف بعض حبات الفشار في فمه.. أحس وجودي.. التفت إليّ:

- أهلا وسهلا وحشتني. وقام باحتضاني بشوق و أكمل:
- إنت جايب لي معاك إيه؟
- هو أنا جاي من الكويت؟ إنت بتعمل ايه؟
- بشوف فيلم الملل بعيد عنك يقتل.
- والشغل اللي اتفقنا عليه؟
- إنت شايف الناس مولّعة في بعض من غير حاجة.. أنت فاكر أني عملت حاجة.. دا أنا من ساعة ما سبتني و أنا قاعد اتفرج على روتانا كلاسيك والناس اتوحشت.
- يعني ايه الناس مش محتاجة لي؟!
- بصراحة أنت ما لكش لازمة الناس تفوقوا عليك في الشر.. أفكارك قديمة لا تناسب العصر.

- يعني أنا دلوقتي عاطل بلا وظيفة؟ و أنا اللي كنت فاكر إني بذكائي وشيطنتي اللي بعمل كل الشرور اللي في الدنيا. أجلس بجانب الشحاذ و أتناول بعض حبات الفيشار و أبكى عندما تسقط فاتن حمامة ميتة بمرض خطير.. أسأله هي كانت عيانة؟ يجيب من وسط دموعه: أيوه!

أبكي بصوت مسموع!